مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2572-0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد: 05 العدد:02- جوان 2021 ص 166/ 189

تلقي اللسانيات البنيوية في الدرس اللغوي العربي بين السياقات التاريخية وطبيعة المتلقي

The popular discourse analysis between the variable and the invariable in Elhodna region heritage

د. ختيم عزوز*
جامعة المسيلة الجزائر
azzouz.khatim@univ-msila.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2021/04/27
تاريخ القبول:
2021/05./16

الكلمات المفتاحية:
✓ اللسانيات،

الملخص:

لا شك أن علاقة التأثر والتأثير قائمة بين مختلف الشعوب والثقافات، وهي التي تؤدي إلى انتقال العلوم والمعارف وتطورها وإثرائها بكل ما هو جديد، ولعل الطفرة التي أحدثتها لسانيات دي سوسير في تاريخ الدرس اللغوي قد عم تأثيرُها كلَ العالم، بما في ذلك الوطن العربي وإن كان قد تأخر نسبيا، بداية باللسانيات البنيوية -والتي أدت إلى نشأة الدرس اللساني العربي الحديث-وصولا إلى اللسانيات العرفنية (الإدراكية)، والتي تمثل آخر ما وصلت إليه اللسانيات

* المرسل المؤلف

✓ التلقي،
✓ البنيوية،
✓ العرفنية،
✓ السياق

الحديثة في رحلتها لاكتشاف الطاقات الإدراكية الكامنة للسان البشري، وبين اللسانيات البنيوية واللسانيات العرفنية (الإدراكية) امتد التلقي العربي لهذه المعارف وسط عوائق علمية وأخرى فكرية أيديولوجية، وهو ما خلق العديد من الإشكالات، ووقف عائقاً في وجه مواكبة الدرس اللساني العربي للتطور الحاصل في اللسانيات الغربية الحديثة. وهذا المقال يحاول أن يرصد عملية التلقي ومستوياته للسانيات البنيوية –بوصفها التلقي الأول-ويعرض إشكالاته وعوائقَه، وصولا إلى نتائجه وذلك من خلال ثلاثة محاور هي: تاريخ التلقي وسياق التلقي وطبيعة المتلقي العربي.

Article info

Received *27/04/2021*
Accepted *16/05/2021*

Keywords:
✓ *the invariable*
✓ *the variable,*
✓ *the popular heritage*
✓ *Elhodna region*

Abstract :

Contact among peoples and cultures always generates cause and effect relationships. These relationships help knowledge to move, evolve and be renewed. Starting from Structuralism, whose ideas led to the modern Arabic linguistics, to cognitive linguistics as the latest innovation of modern linguistics to discover human hidden cognitive skills, the ideas originated by the Saussurean linguistics has affected the entire world. The Arabic world, relatively late, is no exception.

Between Structuralism and cognitive linguistics, the Arabic reception took place amid several scientific, intellectual and ideological hindrances. This led to many problems and prevented the Arabic linguistics to keep up with the development of Western linguistics.

This paper is an attempt to examine the process of reception of structuralist ideas and its levels, considered as the first reception, and to depict its problems, hindrances and results through three main axes: reception history, reception context and Arabic reception nature

.

تمهيد:

إن عملية تلقي العلوم عملية معقدة جدا، وذلك لما يحيط بها من سياقات تاريخية وثقافية واجتماعية، وفي أحيان كثيرة سياسية، لها علاقة بالتوجه العام المسيطر على الفكر السياسي، ويزيد من تعقيدها تباين مستويات المتلقين واختلاف مواقفهم من التلقي ذاته، فإذا أضفنا إليها اختلاف طبيعة العلوم ذاتها بين علوم مادية موضوعها المادة وذات علاقة بأنماط التفكير العقلي و المنطقي، وبين علوم إنسانية موضوعها الإنسان، وذات علاقة بالعادات والتقاليد والمعتقدات الاجتماعية الخاصة بالمجموعات البشرية المتباينة، أصبحت حينها عملية التلقي عملية ذات محاذير كثيرة، ويحتاج المتلقي للقيام بها إلى الكثير من المعارف والعلوم ليقارب هذه المفاهيم المنقولة من بيئة ثقافية معينة إلى بيئة أخرى مختلفة عنها تماما.

وقبل أن نتحدث عن تلقي اللسانيات البنيوية في الدرس اللغوي العربي الحديث علينا أولا أن نعرج على مصطلح التلقي ذاته محاولين تتبع مفهومه في الثقافتين العربية والغربية، وهو ما من شأنه أن يلقي بالضوء على هذا المصطلح.

مصطلح التلقي ودلالته في الثقافة العربية:

عرف اللسان العربي مصطلح التلقي منذ القدم، وقد ورد في القرآن الكريم في مواضع عديدة، منها:

قوله تعالى:﴿ **وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ** ﴾[الآية (6) من سورة النمل].

وقوله تعالى أيضا:﴿ **فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ** ﴾[الآية (37) من سورة البقرة].

وقال أيضا:﴿ **إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ** ﴾[الآية (17) من سورة ق].

وقوله:﴿ **إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ** ﴾[الآية (15) من سورة النور].

وكانت دلالته في الاستعمال القرآني غالبا ما تنبه إلى عملية التفاعل النفسي والذهني مع النص وأحيانا إلى معنى الفهم والفطنة: «**وهي مسألة لم تغب عن بعض المفسرين في الإلماح إليها**» [(1)].

وهذا ما تشير إليه الدراسات الحديثة في مجال النقد الأدبي كنظرية القراءة والتلقي والتي كان الأساس فيها " التركيز على محورين هما على الترتيب: القارئ والنص، فالقارئ عندهم هو المحور الأهم والمقدم في عملية التلقي، حيث له دور فعال في قراءة النص وإعادة إنتاجه وتداوله وتحديد معانيه.

وإذا رجعنا إلى المعاجم العربية لتقصي معنى مادة "تلقى " فإننا نجدها لا تخرج عن معنى الاستقبال والأخذ وأحيانا تأخذ معنى الفهم والفطنة والإلقاء.

ففي معجم لسان العرب يذكر ابن منظور: «**تلقاه، أي استقبله، والتلقي هو الاستقبال – كما حكاه الأزهري – فلان يتلقى فلان أي يستقبله**» [(2)]

وجاء في معجم أساس البلاغة للزمخشري: «**...تلقاه: استقبله (ونهى عن تلقي الركبان). وتلقيته منه: تلقَّنته وهو يُلَّقى الكلام**» [(3)]

والملاحظ أن المادة اللغوية (تلقى) بمشتقاتها في العربية تأخذ معنى الاستقبال والتلقي معا ولكن التمايز في الدلالة بين مفهوم التلقي ومفهوم الاستقبال يكمن في طبيعة الاستعمال عند العرب وفي مجرى الإلف والعادة بالنسبة للأذن الأجنبية، فالكثير الغالب في الاستعمالات العربية هو استخدام مادة (التلقي) بمشتقاتها مضافة إلى النص سواء أكان النص خبرا أو حديثا، أو خطابا، أو شعرا، [(4)] فنقول فلان تلقى خبر نجاحه ولا نقول استقبله بحكم ما تعودنا عليه في

كلامنا، ولم تغب كذلك عن أدبائنا ورواد التراث النقدي وهم يميزون في استعمالاتهم –وإن لم يصرحوا – بين إلقاء النص أو إرساله، وتلقيه أو استقباله، «**فآثروا الإلقاء والتلقي وجعلوهما فنا، وخاصة في مجال النص الخطابي** »[5]

ففن الإلقاء يكتسي أهمية كبيرة في الحياة الفكرية والأدبية والفنية فهو يعرف ب:«**فن الاستمالة**»[6]؛ أي استمالة المتلقي الذي بدوره إن لم يمتلك فنيات التلقي من حسن إصغاء وانتباه ومحاولة الفهم والاستيعاب والتحليل، فلن يحصل بذلك تفاعل مع النص أو الخطاب الملقى ومن ثم يفقد قيمته وجمالياته «**وتلك من جملة الآفات التي مُني بها الشعر العربي في التحول به من فن مروي مسموع إلى فن كتابي مقروء ؛لأن التفاعل مع النص لا يتم من جانب واحد، بل يتم في إطار تتواصل فيه اهتمامات المتلقي بمشاعر المُلقي، ولهذا يعبر عن فقدان التفاعل مع النص في هذه العملية بقولهم (فلان لا يلقي بالا لما يقال)**»[7]

ومن هنا يمكننا القول بأن الإلقاء مرتبط بالضرورة بالتلقي، فلا إلقاء من غير تلقٍ، ولا تلق من غير إلقاء؛ لأنه لا يحصل تفاعل مع النص إلا بتوافر عناصر العملية التواصلية الثلاثة: مُلقي الخطاب أو (المرسل)، نص الخطاب أو (الرسالة)، وأخيرا المتلقي (المستقبل) الذي يراعي الملقي اهتماماته ومشاعره خلال إلقائه للخطاب حتى يؤثر فيه وبالتالي يحدث التفاعل الذهني والنفسي بين الطرفين.

مصطلح التلقي ودلالته في الثقافة الغربية: يقال في الفرنسية: « ***trice*, récepteur أي قابل للتلقي أو مستقبل،*réceptif ,ive* أي تلقي، ويقال: *réception* أي استقبال أو تلقي، و *réceptionniste* أي مستقبلة أو متلقية، والفعل *recevoir* يعني استقبل أو تلقى أو أخذ**»[8].

وأما في الانجليزية فيقال: «***receive* أي تلقى أو استقبل أو أخذ، *reception* أي استقبال أو تلق، و *receptionist* أي متلقيه أو مستقبله تستقبل الوافدين في مكتب أو مؤسسة أو فندق، و *receptive* أي متلق أو مستقبل** »[9] ومنه فالمتكلمون بغير العربية لا

تعنيهم كثيرا مسألة التمايز في الدلالات اللغوية بين المصطلحات، وخاصة في لغاتهم الحديثة التي تحولت بفعل الثورة العلمية إلى قوالب وتراكيب جامدة لخدمة الآلة والمصنع، وإنما يعنيهم في استخدام المصطلحات الإلف والعادة وإن كان في ذلك خروج عن ضوابط اللغة ومن ثم كان مصطلح (الاستقبال) الدال على النظرية النقدية الحديثة غريبا عن آذان الناطقين بالإنجليزية خاصة، لأنهم أَلِفوا استخدامه في موضع آخر.

فبالنسبة إليهم موضوع الاستقبال يبدو أكثر ملاءمة لإدارة فندق منه إلى الأدب.

ب-التلقي اصطلاحا: في الدراسات الأدبية النقدية يستخدم مصطلح(التلقي) عنوانا للنظرية الغربية الحديثة ***(Reception theoory)*** أي (نظرية الاستقبال أو التلقي)، حيث أنه قد أثار جدلا كبيرا بين المعنيين بالنظرية في مختلف المدارس الغربية وذلك من أجل تحديد مفهوم دقيق له مما قادهم إلى مشكلة التمييز بين دلالة الاستقبال والاستجابة، وأساس المشكلة –عندهم-في أن هذا المصطلح الجديد قد يجرد القارئ في علاقته بالنص من معنى الاستجابة أو يجرد النص من معنى التأثير في القارئ [(10)]

وتعد نظرية التلقي واحدة من أهم المناهج النقدية الحديثة في دراسة الأدب ونقده ...بحيث جاءت لتؤسس بعدا جماليا للنص يتمثل في قراءة النص الأدبي من خلال إضافة عناصر جديدة لمكونات العملية الإبداعية، والكشف عن أمور جوهرية عند تفسيروتأويل النص من خلال تركيزها على محور أساسي ألا وهو القارئ [(11)]،على عكس ما اهتمت به النظرية الأدبية – قبل ظهور هذه النظرية –فركزت على عنصرين فقط من عناصر العملية الإبداعية وهما :المؤلف ويتجلى في نقد القرن التاسع عشر الذي تمثله المناهج السياقية كالمنهج التاريخي والمنهج الاجتماعي والنفسي والنص: «ويتمثل في مدرسة النقد الجديد والشكلانية التي تطورت عنها البنيوية والنقد السيميائي ، إلى أن جاءت مرحلة القارئ وتتجسد في ما يسمى باتجاهات ما بعد البنيوية ومنها السيميائية والتفكيكية ونظرية التلقي والتي يعرفها سمير سعيد حجازي في قاموسه بقوله هي : «**مجموعة من المبادئ والأسس النظرية التي شاعت في ألمانيا منذ**

منتصف السبعينات على يد مدرسة كونستانس، تهدف إلى الثورة ضد البنيوية والوصفية وإعطاء الدور الجوهري في العملية النقدية للقارئ، باعتباره أن العمل الأدبي منشأ حوار مستمر مع القارئ»[12] وقد ظهرت هذه النظرية في أواسط الستينات على يد فوفلغانغ آيزر وهانز روبير ياوس في محاولة للخروج من تركيز الاتجاه الفرنسي والاتجاه الماركسي على العوامل الخارجية وتعصب الاتجاه الأمريكي في المقابل للنصوص الأدبية، فجاءت هذه النظرية لتصحيح زوايا انحراف الفكر النقدي والعودة به إلى قيمة النص وأهمية القارئ، وهذا إسهام واضح في إيجاد نظرية تحقق المتعة الفنية والجمالية في التعامل مع النص وبالتالي تكشف غوامضه وتفهم أسراره.

لذلك أطلق ياوس على منهجه الجديد اسم "جمالية التلقي ومن حيث المعنى الواسع لهذه التسمية يمكن أن نفهم أنها جزء من الانتقال بدراسة الأدب من الانشغال الكامل بالنصوص ومؤلفيها إلى الاهتمام بالقراءة والتلقي وهذا ما جعل أتباع الاتجاه الألماني ينقلون اهتمامهم من العلاقة بين الكاتب ونصه إلى العلاقة بين القارئ والنص أي من الاهتمام بإنتاج النص إلى الاهتمام بتلقيه. ونظرية التلقي تتأسس على ثلاثة افتراضات أساسية هي:

1-إن النص لا ينفصل عن تاريخ تلقيه وقراءاته التي نتجت عنه، فتاريخ النص هو على وجه التحديد، تاريخ تلقيه وتجسداته المتلاحقة عبر التاريخ حيث النص لا يفهم دون أخذ تحققاته وتجسداته بعين الاعتبار.

2- تاريخ التلقي والقراءات يفلت من مزاعم النزعة الفردية الذاتية، فأنماط التلقي ليست ذاتية تماما، بل تنشأ عن أفق جماعي عام، حيث جماعة من القراء يصدرون عن أفق تاريخي واحد، وتحركهم هواجس ايديولوجية متشابهة كما أنهم يشتركون في مجموعة من الافتراضات والغايات والمصطلحات الفنية واستراتيجيات القراءة، مما يسمح بالوصول إلى نتائج مشتركة وتأويل متشابه ،بمعنى أن القارئ في لحظة تلقيه للنص يكون غالبا ملتزما بوعي جمعي يخص المجتمع أو الفئة التي ينتمي إليها وفي ضوء ما يمتلكه من قيم ومبادئ وقناعات من هذا الوعي يعمل على

قراءة النص وإعادة إنتاجه وتأويله «**لأن القارئ بهذه الصورة –غالبا- أسير نظام عقدي أو ثقافي محدد قد يحجب عنه الرؤية الكاملة في عملية الاستقبال، وقد يحمله التزامه بهذا النظام على أن يتبنى سلوكا سلبيا إزاء القيم التي تصادم قناعاته، وربما تكون النتيجة أن يرفض عملا فنيا لهذا السبب، ومن ثم يؤكد رواد نظرية التلقي في غير موضع أن القارئ إذا لم يحاول التغلب على التزامه الإيديولوجي فإن القراءة الصحيحة للنص ستكون مستحيلة** »[13] وفي تاريخ العلماء العرب الكثير من المواقف التي ينحاز فيها هؤلاء إلى انتمائهم الديني ويرفضون ما يفد إليهم من البلدان الأجنبية بحكم أنهم لا يدينون بالإسلام أو لا ينطقون بالعربية وهذا ما جعلهم يطلقون أحكاما ذاتية على أمور أدبية أو علمية .

3-إن فعل التلقي والقراءة لا يتحقق من خلال التفاعل بين النص والقارئ فحسب، بل من خلال التفاعل بين جماعات القراء وأنماط التلقي المتعاقبة أي إنه يتحقق من خلال التفاعل بين النص والقارئ من جهة، وبين القارئ اللاحق والقارئ السابق من جهة ثانية وبين القراء المتعاصرين من جهة ثالثة.

وتهدف نظرية التلقي إلى تجديد التاريخ الأدبي ونقل تأمل المؤلف (المرسل) إلى القارئ والجمهور (المستقبل) والانتقال من فكرة في الإبداع إلى التفسير والتأويل للنصوص الأدبية، فمن خلال محتوى النظرية يتضح لنا أن مصدرها هو الخلافات المذهبية الحادة بين رواد الرمزية والبنيوية (التي تعمل على مقاربة النص بوصفه بنية مغلقة)، والجمالية الماركسية التي ترى في الأدب انعكاسا للواقع الاجتماعي (صراع الطبقات) والشكلية الروسية حيث تعتبر الأدب والنص الأدبي منظومات مغلقة، فهي بذلك تعتبر تمردا على تلك المذاهب المنتشرة في ألمانيا آنذاك، «**وارتباط النظرية لدى روادها بمفهوم مناهض للماركسية جعلها مهيأة للتعايش السلمي مع نماذج الأدب الغربي –على اختلاف أجناسه وألسنته وأحسبها صالحة كذلك لمناقشة النص العربي، وذلك لأن واضعيها قد نأوا بجانبهم عن القيود التعسفية التي تجرد آداب الأمم من**

حتمياتها ومسلماتها الذاتية كالاعتماد على الصور التعبيرية والخيالية الخاصة بكل لغة من لغات العالم ...»[14]

«ولقد سرعت الثورات العلمية والتكنولوجية الحديثة والمعاصرة في بلورة أنساق نظرية وتطبيقية خاصة بمستويات تلقي المعارف والمدارك الثقافية والفكرية والعلمية بين الأمم، وهذا ما أضفى نوعا من الشرعية على هذا التثاقف وبخاصة في شقه اللغوي واللساني، الذي أفرز هذه الترسانة المنهاجية والنظرية التي أرست قواعدها نظرية التلقي وسهلت السبل في وضع آليات للتعامل مع الإرث اللغوي و اللساني على وجه التحديد»[15] فكان لهذه المثاقفة الفكرية واللغوية الأثر العلمي على تطوير المعارف والمدارك اللسانية لدى المتلقي العربي كما أسهمت في نقل الثقافة اللسانية الغربية إليه، وبالتالي إثراء الدرس اللساني العربي بمختلف النظريات اللسانية الحديثة، والتي من بينها :**البنيوية**، التوليدية التحولية، التداولية .

ونعنى بالمثاقفة استفادة الثقافات من بعضها البعض، فمن المعلوم أن الفكر الإنساني متفاعل بالضرورة نتيجة تداخل المعارف الإنسانية وتقاطعها من خلال النقل الفكري والثقافي بين الأمم، وهي بهذا تختلف عن الغزو الثقافي الذي يحمل في طياته الرغبة في محو فكر الآخر واحتلال عقله وطمس هويته وسلب خصوصياته.

بدايات التأثر بالثقافة اللسانية الغربية:_من المؤكد أن اللسانيات الغربية علا صداها كل الساحات اللغوية العالمية وخاصة بعد ظهور الدراسات الوصفية والبنيوية بزعامة فرديناند دي سوسير الذي أقرّ طابع العلمية على كل الدراسات اللغوية واتسع نطاق الفكر اللساني الغربي ليصل صداه إلى الوطن العربي مشرقا ومغربا، ولعله من الصعب تحديد البدايات الأولى لانتقال الفكر اللساني الغربي الحديث إلى ميدان التفكير اللغوي في العالم العربي وما ترتب عن هذه المثاقفة من تأثر وتلقٍ معرفي ومنهجي لمجمل مقولات النظر الغربي في دراسة الظاهرة اللغوية بصورة عامة.

وفي هذا الصدد يشير" حافظ إسماعيل علوي" «**إلى أن الحديث عن بداية تلقي العلماء العرب للعلوم اللغوية الغربية – ونقصد هنا "لسانيات سوسير"- لا يكون ذا معنى إلا بربطه بالعوامل المؤثرة في عملية التلقي وأهمها :تاريخ التلقي، سياق التلقي وشخصية المتلقي، بحيث أن معرفة هذه العوامل يساعد على معرفة مدى استيعاب الثقافة العربية لهذا العلم الوافد إليها من الثقافة الغربية** »(16) ومنه فإن تحديد الإطار العام للمثاقفة اللسانية بين الفكر العربي والفكر الغربي «**تتوقف على حاجة المتلقي سواء كان هذا المتلقي شارحا أو عالما في تفسير ظاهرة لغوية معينة أو دراسة موضوع يحتاج فيه هذا المتلقي إلى إمدادات من ثقافة الآخر، لذا فوضع حدود معينة لمساحات التلقي اللساني يستحيل في ظل تعدد النظريات العلمية، واختلاف المناهج المعتمدة في التحليل وتنوع مجالات الفكر اللساني الحديث** »(17) وبالحديث عن سياق تلقي المناهج اللسانية الغربية فإن هذه الحركية الثقافية ظهرت في فترة من الفترات التاريخية كان علماء اللغة العرب في أمس الحاجة لمثل هذه المناهج الحديثة في الدراسات اللغوية ، فبعد أن تميز الفكر العربي لفترة طويلة بالعطاء والإنتاج الفكري واللغوي من خلال اهتمام العلماء العرب باللغة العربية ودراستها دراسة شملت كل المستويات (صوت، صرف، نحو، معجم، دلالة).

وهذا ما جعل الباحثين يذهبون حد الجزم أن تكون أية لغة قد نالت من الاهتمام والبحث فيها ما نالته اللغة العربية، عاشت المجتمعات العربية سباتا فكريا تحت تأثير الحملات الاستعمارية الأوروبية وعلى النقيض من ذلك كانت الدول الأوروبية تعيش فترة الازدهار والتطور في شتى المجالات وخاصة في العلوم والصناعة إثر النهضة أو الثورة الصناعية، وهذا ما هيأ الأرضية لظهور علم اللسانيات الحديثة بمختلف توجهاتها ونظرياتها ليتأثر بها كل شعوب العالم بما فيها العالم العربي الذي حاول الاستفادة من هذا العلم الجديد ومن ثم سنحت الفرصة من جديد للعرب ليدرسوا لغتهم ويبحثوا فيها ولكن بشكل مختلف وفي ظروف مختلفة عن الدراسات العربية القديمة. وأما بالنسبة لتاريخ تلقي الحركة اللسانية في الفكر العربي نشير إلى

ما قام به "**مصطفى غلفان**" في كتابه (**اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية**) حيث حصر بوادر هذه الحركة العلمية في أهم المحطات التاريخية التي هيأت للثقافة العربية فرص الانفتاح على الدرس اللساني وهي:

- النهضة الفكرية العربية الحديثة وما رافقها.
- المرحلة الاستشراقية وما رسخته من أعراف لغوية.
- إرهاصات تشكل الخطاب اللساني الحديث»

ويذكر"حافظ اسماعيلي علوي" أن هذه النهضة العربية جاءت نتيجة حملة نابليون بونابرت(1769-1821) على مصر (1798-1801)«**التي شكلت البداية الفعلية لانفتاح الثقافة العربية على نظيرتها الغربية. كما كانت إيذانا بتحولات جذرية عميقة مهدت للتخلص من ضائقة الاستبداد العثماني الذي عرفت فيه الثقافة العربية درجة من التقوقع و الانكماش وقد كان الجانب اللغوي من أبرز الجوانب التي جسدت بوضوح التخلف الفكري والانحطاط الثقافي في تلك المرحلة** »[18] ويمكن أن نلخص أهم التحولات التي لها علاقة بالجانب اللغوي والتي مهدت لها حملة نابليون في مسألتين جوهريتين هما:

- الإحساس بأهمية الماضي الحضاري.
- تنامي الشعور القومي وتمثل في المفاخرة بالإرث الحضاري واعتباره الذخيرة الروحية للأمة والشعور بالجوانب القومية الموحدة سواء أكانت عرقية أم لغوية أم ثقافية هذه الأسس هي ما شكل مرتكزا للسياسة والفكر والمجتمع وأدى إلى الاهتمام بالإصلاح اللغوي اهتماما بالغا لأن اللغة هي وعاء الحضارة ولأن التجديد يبدأ من اللغة وطرائق تدريسها واستخدامها.

وعليه فإن المشكلة القومية كانت دافعا مباشرا لاهتمام الباحثين النهضويين بالإصلاح اللغوي الذي أثر فيما بعد على مسار الوعي اللغوي العربي، فكان طبيعيا أن يسعى اللغويون إلى إعادة الاعتبار للغتهم، وبعث الروح فيها من جديد حتى تستجيب لمقتضيات الحضارة الحديثة، وذلك من خلال البحث فيها بطرائق مختلفة ومحاولة إثباتهم أن اللغة العربية قابلة للتطور و

التجدد ومواكبة التطورات الحاصلة في مجال دراسة اللغة.«**وللحاق بالغرب المتقدم استوجب الاطلاع على العلم المادي الغربي وهذا مطلب لا يمكن أن يتحقق إلا بالترجمة عن اللغات الأجنبية فشكلت قضية الترجمة ومشاكلها أحد الاهتمامات البارزة عند النهضويين، وخصوصا ما تعلق من ذلك بإيجاد المقابلات العربية التي تعبر عن اللفظ الأجنبي تعبيرا دقيقا، فكانت القضية التي استأثرت باهتمام النهضويين قضية معجمية بالأساس»**(19) إذ تطلبت الحركة الفكرية الجديدة بمصر وغيرها من الأقطار العربية من اللغة العربية جهودا جبارة لمواكبة مظاهر التحولات التي عرفتها مناحي الحياة العربية مما نشأ معه حركة لغوية جديدة تمحورت أساسا حول الترجمة إلى العربية وإيجاد المصطلح العربي الملائم، حيث إن العمل على ترجمة العلوم اللسانية الغربية واجه وما زال يواجه العديد من الإشكالات سنتحدث عنها لاحقاً.

وبالموازاة مع دخول المدنية الغربية إلى مصر على يد نابليون ومحاولة المصريين مواكبتها ساهم "محمد علي «الذي حكم مصر في هذه الفترة في إرساء النهضة العربية من خلال البعثات العلمية التي كان يوفدها إلى أوروبا وتشجيع الترجمة إلى اللغة العربية، حيث أنشئت المدارس والمعاهد العلمية بإشراف العلماء ممن استفادوا من تلك البعثات على غرار رفاعة الطهطاوي (1801-1879) الذي أدار مدرسة الألسن والترجمة في مصر التي أنشئت سنة 1837م، محاكيا في ذلك نموذج مدرسة الألسن الشرقية بباريس التي تأسست سنة 1795م، كما برزت أيضا مدرسة "باردو" العسكرية في تونس التي تأسست سنة 1840م وكانت تعنى بترجمة النصوص والمؤلفات الأوروبية إلى اللغة العربية ' ولذلك يمكن القول أن النموذج المصري يمثل بداية الاتصال الفعلي بالحضارة الغربية في العصر الحديث حيث انعقدت صلة الجامعات المصرية بالدرس اللساني الغربي الحديث منذ مطلع الأربعينات وأما الشخصية الرئيسية التي تمثل نقطة هذه الصلة فهو "جون روبرت فيرث (1890-1960) الذي كان أستاذا للسانيات العامة في جامعة لندن ما بين عامي 1944و1960 ومثل ما تأثر رفاعة الطهطاوي بالدرس اللساني الغربي

الحديث في كتاباته، ظهر هذا التأثر أيضا في كتابي جرجي زيدان (الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية) 1886م، وكتاب (اللغة العربية كائن حي)1904م، ويبدو فيهما متأثرا بالنظرية الداروينية التي سادت آنذاك إذ تبنى نظرية اللغات المرتقية واللغات غير المرتقية وحاول البحث في أصول العربية ونشأتها، مع مقارنتها بشقيقاتها من اللغات السامية.

ومن هنا يمكننا القول أنه إذا كانت اللسانيات العربية ارتبطت بنقل نتائج البحث اللساني الغربي، فإن نشأتها تحدد بعودة الباحثين المصريين من الجامعات الأوروبية، وإذا كانت لحظة نشأة اللسانيات العربية هي تاريخ صدور أول كتاب تبنى المناهج الغربية اللسانية فتحدد ما بين (1941-1946) وهي المدة التي يرجح فيها صدور كتاب (الأصوات اللغوية) لإبراهيم أنيس، الذي يعد أول كتاب عربي حاول تطبيق النظرية الغربية وتحديدا البنيوية في وصف أصوات اللغة العربية، ويضاف إلى العوامل السابقة عامل آخر، لا يقل أهمية عنها في تنوير العقل العربي وبعثه من جديد وهو الدور الذي أداه المستشرقون في نقل المناهج والمعارف الغربية إلى الثقافة العربية عندما قامت مصر باستقدامهم للتدريس في المعاهد والمدارس التي أنشأتها سنة 1907من أمثال ليتمان، جويدي و برجشترايسر وغيرهم.

وقد كان المؤثر الفعلي في البحث اللغوي العربي هو الفيلولوجيا التي أدخلها المستشرقون الألمان إلى نمط التفكير العربي بحيث شكلت بحوث هؤلاء إطارا مرجعيا لجملة من البحوث والدراسات اللغوية العربية ويمكن عدّ سلسلة التأليف اللغوية التي اتخذت من فقه اللغة عنوانا لها أو نموذجا لهذا التأثير بدءا بكتاب (علي عبد الواحد وافي) فقه اللغة الصادر عام 1937 وكتب الأب أغسطين مرمرجي الدومينيكي: (المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية 1947)،وكتاب (معجميات عربية سامية 1950)،ثم كتاب عبد المجيد عابدين (المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية(1951)، فضلا عن أن جملة من البحوث العربية التي اتجهت بالنقد إلى النحو العربي، عدّت متأثرة بتصورات المستشرقين في ذلك، وذلك مالقيه كتاب إبراهيم مصطفى "إحياء النحو1937" من رفض ونقد

وجدل، واللغويون العرب في هذه المرحلة المبكرة لم يعرفوا الفرق بين مجال الفيلولوجيا بالمفهوم الغربي وبين المفاهيم التي ورثوها عن اللغويين العرب القدماء، والتي تدخل في إطار فقه اللغة.

وباجتماع العوامل السابقة بدأ عصر النهضة العربية انطلاقا من مصر التي شكلت مهدها ومركزها بالإضافة إلى لبنان ومنه دخلت الثقافة العربية طورا آخر حيث تعرفت من جديد –ولو في صورة مختلفة – على العلوم التي كانت هي السباقة إلى تأسيس أصولها الأولى، ثم استلمها الغرب فيما بعد وطوروها في عصر الركود الفكري العربي كالطب، والرياضيات، والفلك وغيرها.

وكما هو الحال مع كل شيء يفد إلينا من الثقافة الغربية فقد لقيت اللسانيات ردود فعل سلبية في البداية تجلت في رفض المتلقي العربي لها وذلك راجع لعدة عوامل نفسية وحضارية ميزت شخصية المتلقي العربي والتي شكلت عائقا للتلقي الصحيح والسليم للمناهج اللسانية الغربية الحديثة «**فلقد كان اللسانيون العرب يتوجسون خيفة مما قد يجابهون به من ردود أفعال مناهضة لنشاطهم سواء من المشتغلين باللغة أو من الجهات الجامعية والمؤسسات العلمية التي ترعى النشاط اللغوي فقد استشعروا صعوبة تقديم المناهج اللسانية الحديثة للقارئ العربي** »[20]، فتخوف اللسانيين العرب المحدثين كان من كيفية تقبل الأوساط العربية لهذه الأفكار الجديدة التي أتوا بها من الدراسات الغربية إلى العالم العربي الذي كان محصورا في قضايا النحو العربي وفي القضايا التراثية الأخرى، والحقيقة أن لهذا الشعور ما يسوغه في تلك المرحلة فقد ساد الاعتقاد أن العربية بلغت النضج والاكتمال وهذا ما جعل العربي ينظر بقداسة للإرث اللغوي الذي خلفه القدماء، فالوضعية التي كان يعيشها الوسط العربي كانت سبب تخوف اللسانيين العرب المحدثين حيث يقول **محمود السعران** :«**أن أغلب المشتغلين باللغة في البلاد العربية يرفض النظر في هذا العلم الجديد أو لا يحاول تفهمه...**»[21]،ويقول عبد الرحمان أيوب في كتابه (دراسات نقدية في النحو العربي):«**أما كيف يتلقى الناس هذا الكتاب فإني أعلم مقدما أن منهم من سيعتبره كفرانا بثقافتنا التقليدية وتجريحا لسلفنا**

اللغـوي الصـالح»[22].هـذا التفكير الـذي تميز بـه المتلقي العربي شـكل عائقـا في تلقي مختلـف المناهج اللسانية الحديثة، حيث يجمل حافظ إسماعيلي علوي أهم العوائق الموضوعية لتلقي اللسانيات فيما يلي:

أ- **صورة الغرب في المتخيل العربي** :إن الصورة التي ترسخت في متخيل المتلقي العربي عن الغرب تتجلى في شعوره «**بأن الغرب غازٍ في طبيعته أوفي تاريخه ... فـالغرب هـو المغتصب والمستعمر والناهب لخيرات الأمة ... فلم يكن في الإمكان الفصل بين قمع الغرب وأهدافه العسكرية وبين ثقافته وإنتاجه الفكري التي لا يمكن أن تكون إلا ثقافة غطرسة واعتداء. وهـذا مـا عبر عنـه عبـد الله العـروي بـالقول : الغـرب الحـالي يبـدو في آن واحـد اسـتغلالا اقتصاديا وهيمنة سياسية ومنهجا فكريا وسلوكا أخلاقيا والمثقفون العرب اللذين ينتهجون سلوكه ويستعملون منطقه يعتبرون متحالفين معه»**[23]

وهـذا مـا جعـل بعـض اللغـويين العـرب يرفضـون النتـاج الفكـري الغربي رفضـا مطلقـا بـدعوى أن كُلَّ أخـذ عنـه (الغـرب) أو اسـتعظام لإنتاجـه الفكـري حكـم بالضـياع على ثقافتنـا واستمرار لحصـارها، ولهـذا فـإن صورة الغـرب على الـرغم مـن تعقـدها وتركيبها واختلافها تـأتلف وتتوحد لتشكل صورة واحدة في العقل العربي أثرت سلبا على تلقي المناهج اللسانية.

ب- **اللسانيات علما غربيا:** نظر العرب للسانيات على أنها علم انبثق من الثقافة الغربية ووصل إلينا عن طريق الترجمة عن اللغات الأجنبية والبعثات العلمية وأيضا بفضل جهود المستَشرقين كما أشـرنا سـابقا وهـذا مـا جعـل بعـض اللغـويين العـرب يعتقـدون أن البحـث اللسـاني لا يمـت بصلة إلى الثقافة العربية واللغة العربية لأنه بحث أوجدته ظروف اللغات الأوروبية التي تختلف في انتماءاتها وتكوينها وبيئاتها وشعوبها المتكلمة بها عن العربية وظروفها اختلافا كبيرا ، جعلهم في موقـف رافـض لتطبيـق النظريـات اللسـانية الحديثـة على لغـتهم الأصيلة التي يـرون أنهـم ملزمـون بالحفاظ عليها لأنها تمثل إرثا حضاريا وهوية قومية ولأنها حققت درجة الاكتفاء الذاتي وحملت معها عناصر ديمومتها ببقاء كتاب الله العزيز، ولهذا اعتبرت اللسانيات علما غير نافع بالنظر إلى

أهدافه الاستعمارية، التي يتوحد معها ويخدم غاياتها، لأن في نشأة الدراسة اللغوية في أوربا ما يدل على أن للاستعمار، وحملات التبشير المسيحية دورا رئيسيا ساعد على ظهورها وانتشارها وتطورها للوصول إلى شعوب العالم التي يقصدونها، ويرجون من ورائها السيطرة والنفوذ.

وهذا التفكير السلبي جعل المهتمين بالبحث اللغوي العربي يقاطعون المناهج اللسانية الحديثة ويرفضون تبنيها في دراساتهم لأنهم رأوا أن الممارسات الاستشراقية أرادت فرض سيطرتها على البحث اللغوي العربي والانحراف به عن المنهج الصحيح الذي ورثوه عن العلماء العرب القدامى أمثال : سيبويه وابن جني والفراهيدي وغيرهم، ومنه التشكيك في القيمة العلمية للتراث اللغوي العربي الزاخر، وعلى هذا الأساس ربطوا بين الاستشراق و الاستعمار وبين اللسانيات، وهنا نشير إلى قول منذر عياشي الذي أورده حافظ اسماعيلي علوي في كتابه يقول: **«أما البعثات التبشيرية فقد تجلى دورها في الإلحاح على قطع صلة الشعوب المستعمرة بماضيها الحضاري وأما حركة الاستشراق، فقد سعت حثيثا لتحريف وتشويه تاريخ الفكر العربي والتشكيك فيه، كما أنها ركزت جهودا جبارة للتقليل من أهمية اللغة العربية ودورها الحضاري حتى بدت في عيون بعض المثقفين العرب لغة ميتة لا علاقة لها بالعصر الحاضر ولا تفي بحاجات التطور العلمي»**(24).

لقد شكلت هذه المعطيات أسبابا كافية لرفض كل منتوج ثقافي غربي فكري أو مادي، ومقاومته من طرف المحافظين على التراث العربي.

ج-اللسانيات رمزا للحداثة: تدخل اللسانيات في دائرة المعارف الحديثة لذلك فهي لم تسلم من الصراع القائم بين القدامة والحداثة-أو كما يذكر عبد الرحمان الحاج صالح – صراع الأصالة والمعاصرة ويرجع هذا الصراع إلى بداية عصر النهضة حيث كانت الدراسات اللغوية معنية بشكل أكبر بهذا الصراع لاعتبارات ترتبط بالدين واللغة، والقومية.

3-الفكر اللّساني العربي بين التجديد والتقليد: شهدت اللّغات حركة تطورية هامة في مختلف ميادينها؛ بدءا من النظريات والمناهج وانتهاء إلى تأسيس المدارس اللسانية. فعزز ذلك

من ظهور التيارات الفكرية اللسانية المتخصصة في دراسة علوم اللّسان مادة ومنهجا. ولم تكن الساحة اللغوية العربية بمنأى عن ذاك الحراك الخطير؛ الذي غيّر التوجه الفكري- العلمي في حقل اللسانيات خاصة وعلوم اللّغة عامة. وبالطبع استجابة اللّغة العربية إلى هذا النداء العلمي المثير؛ واعتبر ذلك بمثابة ثورة حقيقية في حقل اللسانيات العربية. فانقسم المشهد اللّغوي- العربي بين مؤيد ومعارض، ومستبشر ومستنفر.

أولا: الاتجاه المعارض: ويطلق عليه (موقف الجمود عند التراث أو لسانيات التراث) «**العائد إلى الماضي باعتباره هوية الأمة الواجب الحفاظ عليها بتكريسها كرؤية صالحة لكل زمان ومكان التي يعد تجاوزها شكلا من أشكال الخيانة...محاولا ربط كل جديد يظهر بالتراث**» [(25)].

أما عبد الرحمان الحاج صالح فسماه البيئة التقليدية «**التي واصلت دراستها للغة بنفس المناهج التي تركتها لها الأجيال المتأخرة، وأكبر العيوب التي أصيبت بها هي تعلقها بالمعيارية المطلقة ونعني بذلك شدة اهتمامها بالعلل التعليمية وقلة اهتمامها بالعلل القياسية واستعمالها للمفاهيم المنطقية اليونانية بكيفية تقليدية بحتة**» [(26)].

ثانيا: الاتجاه المؤيد: ويطلق عليه (موقف الثورة على كل المواريث أو الكتابات التمهيدية) الذي «**يعمل على استيراد المناهج والرؤى الغربية وتطبيقها على النتاج الفكري واللغوي العربي كما هي دون أي نظر أو نقد أو تمحيص سابق بحجج مختلفة كالعلمية والعالمية والحداثة وغيرها**» [(27)]. وهذا الاتجاه سماه عبد الرحمان الحاج صالح «**بالبيئة التجديدية التي وُفِّقَتْ في كثير مما اختارته لبحثها من مناهج استقرائية وتحليلية والتي نبذت بعد ذلك المعيارية المحضة في البحث العلمي**» [(28)] فهي بهذا مناقضة لما جاء به الاتجاه الأول. فالمؤيدون مولعون بكل ما جاء به الغرب وبناء عليه حاول أصحاب هذا الاتجاه تطبيق النظريات الحديثة على العربية تطبيقا عشوائيا لا لشيء إلا لأنها حديثة وأنها أتتنا من البلدان الأجنبية المتطورة.

ثالثا: موقف حاول التوفيق، وتوصيل الماضي بالحاضر، ويطلق عليه اسم (لسانيات عربية) محاولا دراسة اللغة العربية من خلال تطبيق المناهج الغربية الحديثة. فأصحاب هذا الاتجاه

يجعلون من التراث اللغوي العربي منطلقا لهم ويعملون على دراسته وفق النظريات والمناهج الجديدة الوافدة من البلدان الأجنبية.

ولهذا فإن معظم الآراء والدراسات تكاد تجمع على أن الاتجاه الذي يسعى إلى تطعيم القديم بالجديد هو الاتجاه الذي من شأنه أن يقدم الجديد وإن كان البعض الآخر يراه لا يبتعد هو أيضا عن الاتجاهين السابقين وهنا نشير إلى قول زكي نجيب محمود في كتابه (تجديد الفكر العربي) الذي يقول فيه: «**فترانا أحد رجلين فإما ناقل لفكر غربي وإما ناشر لفكر عربي قديم، فلا النقل في الحالة الأولى ولا النشر في الحالة الثانية يصنع مفكرا عربيا معاصرا لأننا في الحالة الأولى سنفقد عنصر العربي وفي الحالة الثانية سنفقد عنصر المعاصرة، والمطلوب هو أن نستوحي لنخلق الجديد سواء عبرنا المكان لننقل عن الغرب أو عبرنا الزمان لننشر عن العرب الأقدمين** »[(29)]، فالناقل عن الغرب مولع ومعجب بكل جديد أو ما يبدو أنه جديد قادم إلينا من بيئة الآخر (الغرب)،فيتقبل أية نظرية أو منهج جزافا دون أي نظر فيها أو تمحيص ويؤدي به هذا إلى نبذ كل ما أبدعه علماؤنا القدامى في علوم اللسان، وهذا أمر لا يجوز في حق تراثنا اللغوي، فالاطلاع على ماجدّ في الساحة اللغوية العالمية أمر مشروع ولكن بضوابط منها :عدم تطبيق النظريات والمناهج الغربية على اللغة العربية عشوائيا وذلك لأنها حديثة فقط ودون الأخذ بخصوصيات العربية فقد تكون هذه المناهج موضع جدال في البلدان الغربية حتى الآن كما أنه من الواجب علينا أيضا «**أن نأخذ بعين الاعتبار لا الانتقادات البناءة التي تعرضت لها في مكان نشوئها فحسب، بل حتى الاعتراضات والتحفظات التي يمكن أن يُبديها إزاءها العالِم النزيه منا غير المتعصب (لما يعرفه على ما لا يعرفه) على أساس متين يعتمد المعرفة الواسعة العميقة للتراث العلمي العربي والتراث العلمي اللغوي بصفة خاصة وذلك لتلافي الأحكام المتسرعة وتحاشي التقليد الأعمى والتطبيق الخاطئ** ».[(30)]

وهذا الكلام صالح ليس فقط على اللسانيات البنيوية بل حتى باقي النظريات والمناهج كالتوليدية التحويلية والوظيفية والتداولية وغيرها، فعند استقبالها أو تلقها من طرف لغويينا

العرب المحدثين نجد منهم من يرفضها رفضا مطلقا لأنه متعلق بتراثه العربي القديم ويقدس اللغة العربية لأنها لغة القرآن ولا يقبل أن تطبق عليها مناهج نشأت في بلاد الغرب والتي تناسب لغاتهم ولا تناسب العربية فتطبيقها على العربية يعني تغريبا ثقافيا يهدد الهوية الثقافية العربية الإسلامية ومنهم من تبنى أفكار هذه المناهج وآرائها وأصبح مولعا بها مدافعا عنها ضد كل من ينتقدها، ومنهم من اتخذ موقفا وسطا كما أشرنا سابقا وعمد إلى إحياء التراث العربي وإعادة بعثه من خلال دراسته دراسة جديدة وفق ما تأتي به النظريات الحديثة .فالكثير من العلماء المحدثين منذ بداية تلقي مختلف النظريات اللسانية تبنوا الاتجاه الثالث كتمام حسان الذي يقول في هذا الصدد :«... **ثم رأى أنه لو سلك الطريق الأول فحسب لانقطع به التاريخ عن الحياة،ولو سلك الثاني فحسب لانقطعت به الحياة عن التاريخ، ففضل أن يأخذ بنصيب من التراث العربي يوحي إليه بالاعتزاز ونصيب من الثقافة المعاصرة يمنحه العزة»**[31] فهذا في نظره أفضل مسار للدرس اللساني العربي الحديث .

وهنا نشير إلى أن **مسعود صحراوي** في كتابه **(التداولية عند العلماء العرب – دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي)** قد سار وفق الاتجاه التوفيقي فمن خلال عنوان الكتاب يتضح لنا أنه قد درس ظاهرة مهمة في التراث اللغوي العربي وهي ظاهرة (الخبر و الانشاء) أو ما يعرف بظاهرة الأفعال الكلامية في الدراسات الحديثة دراسة تداولية؛ أي أنه مزج بين القديم والجديد ولكن في حدود، فهو يقول:«...**منهجي في التعامل مع التداولية أنني أحاول أن أقنع الآخرين أنه لا مانع نظريا ولا منهجيا من الحديث عن شيء اسمه التداولية عند العلماء العرب ولكن بشروط»**[32]؛أي محاولة الاستفادة من المناهج اللغوية الحديثة مع الأخذ في الحسبان خصوصيات اللغة العربية والتراث اللغوي الذي يرى مسعود صحراوي أن «**له خصائص ابستيمولوجية تجعل منه منظومة مستقلة ومتميزة ومتكاملة** »[33] أما بالنسبة لكيفية تلقيه للمنهج التداولي فيحددها بقوله :«**أما بكيفية تلقي التداولية عني أنا شخصيا فقد تلقيناها في بادئ الأمر في التسعينيات من خلال قراءات**

خاصة في الكتب اللسانية وبعد زيارات متعددة قمنا بها إلى دولة المغرب الشقيق في مطلع التسعينيات من القرن الماضي فقد تعرفنا هناك على بعض أعلامها من خلال الكتب الفرنسية والمترجمة واحتكاكنا ببعض الأساتذة مثل "أحمد المتوكل" و"طه عبد الرحمن" ثم تعمقت معرفتنا التداولية بعد زيارتنا لجامعة السوربون باريسparis3/3 لتحضير رسالة الدكتوراه في التداولية وفي أثناء هذه الرحلة اطلعنا بتعمق على أفكار التداوليين الغربيين الكبار وقرأنا كتبهم باللغة الفرنسية (وبعضها بالإنجليزية وهو قليل) .»[34] أي أنه تلقى المنهج التداولي واستوعبه على يد علماء عرب أمثال المتوكل وطه عبد الرحمان كما أنه قد تعرف على أفكار وآراء التداوليين الغربيين وأخذ عنهم، فهو مطلع بشكل موسع على هذا العلم من الثقافتين العربية والغربية.

4- مستويات تلقي الدرس اللساني الغربي : يرى الأستاذ عبد الكريم أبزاري* أن تلقي الدرس اللساني الغربي في الفكر العربي ينقسم إلى مستويات ثلاثة هي كالآتي:

أ-التلقي التعليمي :« إن الأهداف التعليمية هي الغاية التي يصبو كل باحث إلى الوصول إليها،ويظهر هذا جليا من خلال مقدمات المؤلفات اللسانية خاصة إذا وضع في الحسبان أن هذه المقدمات هي أول ما يلفت نظر المتلقي في أول لقاء مع العمل الثقافي أو اللساني أو اللغوي»[35] لهذا يحاول العديد من المؤلفين لاهتمام بمقدمة الكتاب والإشارة فيها إلى الهدف من هذا المُؤَلف **«فمثلا عبد السلام المسدي في تقديمه لأحد مؤلفاته (كتاب اللسانيات من خلال النصوص) يقول :(هدفنا الوحيد الجدوى التربوي والإبلاغ التعليمي وبهذا الصنيع يغدو الكتاب أداة تثقيفية إذ بوسعه أن يمكن القارئ من الاسترسال مع صفحاته متتبعا قصة اللسانيات في يسر وعلى غير تراكيب فني»**[36]. ولا تكتفي هذه المؤلفات بمثل هذه الإشارات التمهيدية والتوجيهية بل تحاول استدراج المتلقي العربي عن طريق الإغراء والتعزيز كما هو واضح من هذا القول: **«قصدنا دعوة القارئ العربي إلى تذوق هذا العلم الحديث، والإلمام به، من أجل ذلك هو كتاب تمهيدي»**[37] وهذه الإشارات قد احتوتها الكتابات التمهيدية التي

حاولت التعريف بعلم اللسانيات الحديثة من خلال نقل وترجمة كتاب .**محاضرات في الألسنية العامة** لسوسير.

ب-المثاقفة الشارحة للمتن اللساني: وهنا تجاوز اللغويين العرب النظرة التبسيطية والتمهيدية للدرس اللغوي الغربي، «**إذ عمل بعض المترجمين في المرحلة الشارحة إلى جعل كتاب سوسير يستعيد ثراءه النظري، وذلك من خلال إعادة قراءته قراءة شارحة تنم عن مدى التفاعل والتأثر بالفكر الغربي.**» [38]، أي أنهم حاولوا شرح ما ورد في كتاب سوسير مع إبداء بعض الآراء والتعليقات.

«**فأصبحت بذلك الكتابات اللسانية وغير اللسانية لا تخلو من إشارات إلى مفاهيم سوسيرية، ومن توظيف لها ومن انتقاد لبعضها، مدشنة بذلك عصر التجاوز التبسيطي في جزء هام منها... ومن هنا تحدد ما يسمى بالمثاقفة الشارحة للفكر اللغوي الغربي**» [39].

ج-القراءة العالمة للفكر اللساني: أي بمعنى تجاوز مرحلة المثاقفة الشارحة إلى قراءة جديدة للفكر اللساني الغربي، قراءة موسعة وعميقة تنهض بالدراسات العربية لتواكب التطور الحاصل عند الغرب في هذا المجال، حيث أنه من أجل الاستفادة من مناهج ونظريات الفكر اللغوي الغربي استفادة شاملة يقترح الفاسي الفهري «**أن يهتم البحث اللساني بجوانب ثلاثة أساسا: حاضر اللغة العربية وتاريخها، وتاريخ البحث فيها والجانب الثالث هو ما ندعوه أحيانا بالتراث (اللغوي، النحوي، البلاغي)**» [40].

ومن هذا المنطلق وجب التمييز بين منهجين أو بين نسقين لقراءاته وتحليله: النسق الفكري يهدف إلى التأريخ للفكر، ونسق المعطيات الموجزة في هذا التراث الذي يمكن أن يستعمل لبناء نحو اللغة العربية القديمة.

وعليه نقول أن اللغويين العرب المحدثين لم يتلقوا العلوم اللسانية الغربية بنفس الموقف حيث أن اللغويين الأوائل الذين كتبوا في هذا الموضوع تميزت مؤلفاتهم بالسطحية وعدم الغوص في المفاهيم اللسانية، ومنهم من خضع خضوعا تاما للنظريات الغربية وبالتالي

انسلخ عن أصله وتراثه فكان تلقيه هذا تلقيا سلبيا يطمس الهوية العربية والتراث اللغوي العربي، والذي يؤاخذ عليه هؤلاء ليس الاقتباس من غيرهم ولكن الاقتباس دون نظر وتمحيص كما أشرنا سابقا، فالتلقي الإيجابي يكون من خلال استثمار النظريات والمناهج الحديثة في دراسة اللغة العربية دون المساس بما جاء في الموروث اللغوي العربي القديم أو التنكر له، وهذا ما تبناه مسعود صحراوي في طرحه للمنهج التداولي حيث يقول في كتابه : «**سأقوم في هذا الكتاب بتحليل الجهد التجديدي في البحث اللغوي العربي -أعني ظاهرة الأفعال الكلامية - ومحاولة تأصيله وإثراء الرؤية الغربية المعاصرة للظاهرة وتعميقها بمزاوجتها بالجهد الذي بذله أسلافنا القدامى**»[41]،«**ولا يكون ذلك إلا بإعادة قراءتها قراءة معاصرة تمتشق ساح المناهج الحديثة وما أفرزته من جهاز مفاهيمي مع الابتعاد عن التعسف في تطبيق ذلك على مفاهيم التراث تطبيقا قسريا**»[42] ويضيف أن هدفه كان تعليمي بالدرجة الأولى حيث يقول : «**إننا لنرجو –عبر فصول هذا الكتاب الخمسة –أن نوضح لطلاب اللسانيات خصوصا وللقراء عموما كيفية استثمار مفهوم (الفعل الكلامي)... في قراءة الموروث اللساني العربي**»[43].

الهوامش:

[1]- محمود عباس عبد الواحد: **قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي - دراسة مقارنة-**، ط1، دار الفكر العربي،(د.م)، 1996م، ص 17.

[2]- محمود عباس عبد الواحد: **قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي -دراسة مقارنة**، ص13.

[3]- الإمام جار الله أبو القاسم الزمخشري: **أساس البلاغة**، تحقيق عبد الرحيم محمود،دار المعرفة، بيروت، لبنان ص413.

[4]- ينظر: محمود عباس عبد الواحد: مرجع سابق، ص13.

[5]- نفسه، ص14.

[6]- مليكة بالقاسمي: **فن الإلقاء تقنياته وفنياته**، مجلة دراسات أدبية، العدد14/2016، ص174.

(7)- محمود عباس عبد الواحد: **قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي -دراسة مقارنة**، ص14.

(8)- مشتقات الفعل تلقى بالفرنسية مأخوذة من : *dictionnaire de français AUZOU paris* , 2005,p395

(9)- مشتقات الفعل تلقى بالانجليزية مأخوذة من : *Oxford ,learner s Pocket dictionnary ,Forth édition, oxford university ,press,p367*

(10)- نفسه، ص15.

(11)- دليلة مروك: مذكرة ماجستير،**استراتيجية القارئ في شعر المعلقات "معلقة امرئ القيس"** أنموذجا،2010/2009، جامعة قسنطينة،ص08.

(12)- سمير سعيد حجازي: **قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر**،ط01،دار الأفق العربية مصر،ص145.

(13)- محمود عباس عبد الواحد: **قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي -دراسة مقارنة**، ص20.

(14)- محمود عباس عبد الواحد: **قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي -دراسة مقارنة**، ص17.

(15)- عبد الكريم أبزاري: **مستويات تلقي الدرس اللساني في الثقافة العربية**،الحدود والآفاق،مجلة العلامة،العدد 3،ديسمبر 2016،ص83

(16)- حافظ اسماعيلي: **اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة**،دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديدة المتحدة،ط2009/1،مقدمة الكتاب، بتصرف.

(17)- عبد الكريم أبزاري، مرجع سابق،ص88.

(18)- حافظ اسماعيلي: **اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة**،دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته ،ص22/21.

(19)- عبد الحليم معزوز: أطروحة دكتوراه **(تأصيل اللسانيات العربية عند تمام حسان وعبد الرحمان الحاج صالح دراسة ابستيمولوجية في المرجعية والمنهج)** 2017/2016،ص69/68.

(20)- صورية جغبوب: **(قضايا اللسانيات العربية الحديثة بين الأصالة والمعاصرة)**، ص17.

(21)- محمود السعران:**علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**،ط1997،02،دار النهضة العربية بيروت لبنان،ص27.

(22)- عبد الرحمان أيوب: **دراسات نقدية في النحو العربي**،مكتبة الأنجلو مصرية القاهرة 1957،مقدمة الكتاب.

(23)- حافظ اسماعيلي: **اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة**، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته ، ص66.

(24)- حافظ اسماعيلي: **اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة**، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته ، ص69.

(25)- صورية جغبوب: **(قضايا اللسانيات العربية الحديثة بين الأصالة والمعاصرة)**، ص13.

(26)- عبد الرحمان الحاج صالح: **بحوث ودراسات في اللسانيات العربية**،الجزء الأول، موفم للنشر، الجزائر 2007،ص16بتصرف.

(27)-عبد الرحيم البار: **(التفكير/اللساني عند عبد السلام المسدي)**،ص13.

(28)- عبد الرحمان الحاج صالح، مرجع سابق، ص16.

(29)- زكي نجيب محمود: **تجديد الفكر العربي**،دار الشروق،ط02، 1973،ص254.

(30)- عبد الرحمان الحاج صالح: **بحوث ودراسات في اللسانيات العربية**،الجزء الأول ، ص174/173.

(31)- نفسه، ص15.

(32)- مسعود صحراوي: مراسلات عبر البريد الإلكتروني بين الباحثتين والبروفيسور مسعود صحراوي

(33)- مسعود صحراوي: **التداولية عند العلماء العرب -دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي-**،دار الطليعة بيروت،ط1، 2005، ص8.

(34)- مسعود صحراوي : مراسلات عبر البريد الالكتروني،2019/04/22، .

(35)- عبد الكريم أبزاري: **مستويات تلقي الدرس اللساني في الثقافة العربية**،الحدود والآفاق، ص88

(36)- نفسه،ص88.

(37)- نفسه،ص89.

*- عبد الكريم أبزاري،أستاذ باحث بالكلية متعددة التخصصات،جامعة مولاي إسماعيل،المغرب.

(38)- عبد الكريم أبزاري: **مستويات تلقي الدرس اللساني في الثقافة العربية**،الحدود والآفاق، ص89.

(39)- نفسه، ص90.

(40)- نفسه، ص91.

(41)- مسعود صحراوي: **التداولية عند العلماء العرب**، ص11.

(42)- نفسه،ص8.

(43)- نفسه،ص11.